الحمل على المعنى طريق إلى فض المشكل النحوي والدلالي

أ. لخضر سعداني

جامعة الوادي

الملخص :

من أهم المشكلات التي تواجهنا في فهم بعض الاستعمالات اللغوية في النص القرآني بالخصوص، مشكلة تبدو في عدم التلاؤم بين الكلمة وما يتطابق معها نحويا أو دلاليا.

وقد انتبه علماؤنا المسلمون والعرب من أهل النحو والتفسير لهذه الإشكالية النحوية الدلالية، بطرق منها "الحمل على المعنى". وبذلك يصبح النص مفهوما، وربما مفتوحا على عدد من التأويلات.

وهذا المقال يبسط الفكرة، ويؤيدها بالتطبيق على النص الكريم.

Abstract:

One of the greatest problematic is one which prevents us from understanding some linguistic uses in the holy Koran. It appears in the form of incompatibility between the used word , and with which it is related syntactically or semantically.

Arab scholars, and Interpretants Muslims of the Koran, and grammarians had conscience of that problematic . In the way to resolve this state of double aspects, they devoted themselves to install a solution . It is consideration of the word meaning. By this procedure, the text of the Holy Qur'an is understood and clear, and sometimes open to many interpretations.

This article attempts to detail the idea of <<considering the sense >> when it comes to fix its syntactic or semantic function in the sentence, putting the application on the Koran.

المنارة للاستشارات

ww

تمهيد ...

مع تقادم الزمن ومزيد الاختلاط بالأعاجم تزايدت الآيات المشكلة على الناس فشملت ميادين اللغة والعقيدة والبلاغة وغيرها. حتى أن الآيات القرآنية صارت لا تفهم منها إلا مقاصدها الصريحة المنصوص عليها بوضوح. وأما ما فيها من دقائق المعنى التي تدل عليها رموز اللغة العربية وإشاراتها فلم تعد مفهومة. وهكذا ظهرت الحاجة إلى إزالة الالتباس عن الآيات التي استشكلت على الناس، وصار المشتغلون بالتفسير في حاجة إلى أن يضعوا مصنفات تختص بالآيات المشكلة.

جاء في كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت 794هـ) أن علم المتشابه قد صنف فيه جماعة، ونظمه السخاوي(ت643هـ) في كتاب سماه"هداية المرتاب في المتشابه". وصنف فيه تاج القراء محمود بن حمزة الكَرْمَاني(ت505هـ) كتاب " البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان". وفخر الدين الرازي(ت630هـ) كتاب"درة التنزيل وغرة التأويل" وغيرهم. [1]

ومن المصنفات الحديثة في مجال متشابه القرآن أو مشكله ما صنفه الشيخ محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري (ت1203هـ) وهو كتاب" تيجان البيان في مشكلات القرآن". وقد اشتمل هذا المصنف على العديد من المشكلات اللغوية والنحوية والعقائدية التي تحتاج إلى تأويل، فسرد آراء العلماء العرب فيها، وسجل ما يتفرع عن الإشكالات من نتائج يقبلها المعنى أو يبعدها. وهو من أهم الكتب التي سنعتمد عليها في هذا العرض.

لفظ الإشكال لغة واصطلاحا:

بالعودة إلى الكتب اللغوية المتوسعة نجد أن لفظ"الإشكال" مأخوذ من اشتقاقات الثلاثي"شكل"، فقولك:أشكل الأمر، أي التبس...والأشكل من الغنم والإبل الذي يُخلط سواده بحمرة أو غبرة، كأنه قد أشكل عليك لونه. وكل مختلط مشكل. وعليه فالإشكال هو الالتباس والاختلاط بين آيتين متقاربتين في المعنى، الشيء الذي لا بد معه من إمعان النظر للوصول إلى التوفيق بينهما. [2]

المنارة للاستشارات
ww

وذهب العلماء في تحديد اصطلاح" المشكل" إلى عدة تعريفات.قال الجرجاني(ت826هـ) في كتاب التعريفات: "... هو الداخل في أشكاله ، أي أمثاله وأشباهه، مأخوذة من قولهم: أشكل أي صار ذا شكل، كما يقال: أحرم، إذا دخل في الحرم، وصار ذا حرمة ... وأنه في الاصطلاح هو ما لا يُنال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب. " [3]

ونقل الجرجاني تعريفا لغيره يعرف المشكل بأنه:" ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب"[4]. وهو تعريف يقف عند الجانب الاصطلاحي، كما لا يشير الى أي موضوع يكون فيه المشكل. وكأن هذا المفهوم عام في غير المعنى اللغوي.

وقال التهانوي في تعريف المشكل:" اسم للفظ يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله، على وجه لا يعرف المراد منه إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال"[5]

جعل الاستعمال اللغوي معنى الإشكال أن يكتسب الشيء شكل غيره وهذا هو معنى الصيرورة. كما جعله الدخول في الشيء. وهذان المعنيان تقرهما قواعد الصرف وكتب فقه اللغة؛ فهي تذهب إلى أن الفعل الثلاثي إذا زيد بالهمزة في أوله، أفادته جملة من المعاني من بينها الصيرورة والدخول في الشيء. وأما في اصطلاح الأصوليين وعلماء النحو والتفسير، فالإشكال هو المعنى الذي يصعب الوصول إليه بسبب التباسه واشتباهه بغيره، فهو لا يُنال إلا بعد تأمل كبير يميزه عما يداخله من سواه. وعملية التدبر والتأمل هذه لا يقدر عليها إلا الراسخون في العلم.

وبالاطلاع على ما جاء في التعريف اللغوي، وبعض التعريفات الاصطلاحية التي تتقارب في جوهرها إلى درجة الاتحاد ، يتضح أن الإشكال في القرآن الكريم ليس بالاختلاف ولا بالمناقضة؛ لأن هذين المعنيين مدفوعان بالنص القرآني: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ النساء:82.

الاشتباه والإشكال في القرآن الكريم:

قد يقال لكل ما غمض ودق : متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ومنها قولهم عن الحروف المقطّعة في أوائل السور" متشابه وليس الشك فيها، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها... ومثلُ

المنارة للاستشارات
ww

المتشابه المشكلُ، وسمي مشكلا لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله. ثم قالوا لما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة : مشكل.[6]

والاشتباه في القرآن يتحقق بهيئات كثيرة كإيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء. وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا. وأكثر أحكامه تثبت من وجهين... الأول:المتشابه باعتبار الأفراد ، كأن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر ووقع في القرآن منه كثير ففي البقرة﴿وادخلوا الْبَاب سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ الآية: 58، وفي الأعراف﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾الآية:161.وفي البقرة ﴿ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾ الآية :62. وفي الحج: ﴿وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصارى﴾ الآية:17. وفي البقرة ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى الآية: 120﴾، وفي آل عمران ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّه﴾ 71.

والثاني من الاشتباه ما يتحقق بالزِّيادة وَالنُّقصان فيما بين الآيات، ومثاله فِي الْبَقَرَةِ ﴿ سواءٌ ﴾ في قوله تعالى: ﴿سواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ البقرة: 6؛ لِأَنَّ ما فِي البقرة جملة هي خبر عن اسْمِ إِنَّ، وفي يس ﴿ وَسَواءٌ ﴾ يس:10، بزيادة واو، وما فِي يس جملة عطفت بالواو على جملة... وفي البقرة: ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ الآية:49، بغير واو على أنه بدل من ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾. وفي إبراهيم ﴿ ويُذَبِّحُونَ ﴾ الآية:6، بالْوَاوِ لِأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعدد الْمحن عَلَيْهِمْ...[7]

ويتحصل مما سبق تسجيل النتيجتين التاليتن:

1. أن المتشابه والمشكل سواء، من حيث أنهما تقع الحيرة في الغرض المراد منهما، فيحتاج القارئ إلى تأويل أو تفسير يرفع ما فيهما من لبس وغموض.

2. وهذا يعني أن المشكل في القرآن ليس من الضروري أن تتشابه فيه آيتان أو أكثر تشابها في المعنى، وإنما ينصب معنى هذا المشكل في ما ظُنّ فساد النظم فيه من قبل الطاعنين، أو استعصى فهمه وإدراك مغزاه على البعض بغير إرادة الطعن، وهو يوجد في حيز الآية الواحدة التي لا شبيهة

المنارة للاستشارات
ww

لها. وهذه النتيجة يؤيدها قول ابن قتيبة (213 - 276هـ):" وقد بَيَّنْتُ... تفسير المشكل الذي أُدُّعِيَ على القرآن فسادُ النظم فيه."[8]

وبناء على اعتبار المشكل هو ما تنشأ الحيرة في تحصيل معناه بسبب تعقيد النظم فيه، تندرج هذه المقالة.

وقد تعددت المنطلقات والموارد التي يكشف بها عن الغموض المنتاب لبعض الآيات كالرجوع إلى المناسبة، والعودة إلى معجم، والحمل على المجاز وغير ذلك، الأمر الذي تضيق عنه فسحة هذه المقالة. وبسبب ذلك اخترنا أحد تلك الموارد وهو **الحمل على المعنى.**

وفي أثناء ذلك يقدم الباحث أمثلة متنوعة للآيات التي تُفَضُّ إشكالاتها النحوية بالحمل على المعنى، وهي أمثلة تنحصر في حيز الآية الواحدة التي لا شبيهة لها.

ولأجل أن يبلغ الباحث غرضه في بيان الحمل على المعنى، اعتمد اعتمادا كبيرا على المصادر التي اهتمت بتأويل المتشابه أو المشكل في القرآن الكريم، ومن خلالها يمكن التعرف على تعاطي علماء التراث لفن التأويل النحوي، الذي هو آلية لغوية موضوعية يزال بها اللغز النحوي في بعض آي كتاب الله تعالى.

تأويل المشكل النحوي بالحمل على المعنى

إن تنزيل الشيء منزلة غيره كثير في كلام العرب، فهم يحملون الخبر على معنى الطلب، ويُعدُّون الفعل بحرف الجر الذي لا يُضامّه في الأصل ويذكّرون ما هو مؤنث...الخ، ويسمي علماء اللغة العربية هذا الإجراء بالحمل على المعنى.

وقد عقد له ابن جني في كتاب الخصائص فصلا خاصا سماه "فصل في الحمل على المعنى" وأثنى على هذه الظاهرة في اللغة العربية بقوله:" اعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد..."[9]

وقد وظف علماء اللغة والتفسير هذه الظاهرة بوصفها موردا من الموارد التي تساعد على فهم الآيات القرآنية المشكلة وفض مشكلها النحوي.

المنارة للاستشارات
ww

وتتوقف هذه المداخلة على بسط قدر من الآيات المشكلة نحويا، وبيان آراء علماء التراث العربي، وطرقهم في تسوية بعض الإشكالات الأسلوبية في القرآن بالحمل على المعنى.

أولا- العطف على التوهم:

وهو عطف شرطه صحة دخول العامل المتوهم، وأما كثرة دخوله فشرط للحسن. ولهذا حسن لست قائمًا ولا قاعدٍ بالجر، ولم يحسن ما كنت قائمًا ولا قاعدًا بالجر،... والعامل في العطف على التوهم مفقود دون أثره.[10] وقد جر الخبر وهو معطوف على خبر ليس المنصوب بناء على توهم أنّ الخبر مجرور بالباء. وبني هذا التوهم على كثرة دخول الباء في خبر ليس.[11] وذلك من نحو قوله عز وجلّ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ التّين: 8

ويقع العطف على التوهم في المجزوم والمجرور والمرفوع والمنصوب اسما وفعلا، وفي المركبات[12]. ومن أمثلة العطف على التوهم بوصفه أداة يدفع بها الالتباس في النظم القرآني ما يلي:

من المجزوم ما قال به الخليل وسيبويه في قراءة غير أبي عمرو ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ المنافقون:10. فإن معنى لولا أخرتني فأصدقَ، ومعنى إنْ أخرتني أصدقْ واحد.[13]

أي إنّ جزْمِ « أكن » جاء عَطْفاً على « فأصَّدقَ » على توهُّم سقوط الفاء من « فأصَدَّق ».

وقال السيرافي والفارسي هو عطف على محل فأصدق ،كقول الجميع في قراءة الأخوين حمزة والكسائي﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الأعراف:186بالجزم...[14] ومن البين أنهما يدرجان هذا المثال في قسم الحمل على الموضع لا العطف على التوهم.

ومن المنصوب اسماً ما قاله الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ هود:71. فيمن فتح الباء كأنه قيل: ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة قول الشاعر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعبٍ إلا ببين غرابها [15]

المنارة للاستشارات
ww

ومن المنصوب فعلاً قراءة حفص ﴿ لَعَلِّيَ أَبْلُغُ الأسبابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ غافر:37 بالنصب، إنه عطف على معنى لعلي أبلغ وهو لعلي أنْ أبْلُغَ؛ فإن خبر لعلّ يقترن بأنْ كثيرا نحو الحديث:" فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض" [16]

وأما في المركبات فقد قيل في قوله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ الروم:46. إنه على تقدير ليبشركم وليذيقكم...[17] فجملة " وليذيقكم" المؤدية لمعنى المفعول لأجله معطوفة على توهم أن كلمة "مبشرات" في معنى المركب "ليبشركم".

ثانيا- الحمل على الموضع:

وهو أن يكون العطف باعتبار عمل لم يوجد في المعطوف ، إلا أنه مقدر الوجود لوجود طالبه، نحو ليس زيد بقائم ولا ذاهبا بنصب (ذاهبا) عطفا على موضع (قائمٍ)لأنه خبر ليس.

ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ هود:60.بأن يكون (يوم القيامة) معطوفا على محلّ(هذه). ذكره الفارسي.[18]

ومن أمثلته عند الرازي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ۞ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ النساء:140- 141. فـ (الذين) نعت للمنافقين، ويمكن تصوره بوجهين الأول: أنه في موضع جر على اللفظ، لكون المنافقين مجرورا. والثاني: أنه في موضع نصب حملا على الموضع؛ لأن اسم الفاعل في قوله(جامع المنافقين) إذا أضيف جاز في معموله أن يُتْبع لفظا وموضعا.[19]

ثالثا- التضمين:

التضمين هو إشراب معنى فعل لفعل ليعامل معاملته، وبعبارة أخرى هو أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة.[20] فالتضمين الجاري في اللغة هو إجراء يجيز إعطاء فعل معنى فعل آخر وعمله، بلا تصريح.

وفائدة التضمين أن يدل بكلمة واحدة على معنى كلمتين. يدلك على ذلك أسماء الشرط والاستفهام[21]، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد؛ فأداة

المنارة للاستشارات
ww

الشرط "مَنْ أو ما" مثلا وضعت للاستفهام في الأصل، ولما تضمن معنى "إنْ" الشرطية تصبح جازمة، و حاملة لمعنيين.

ومن أمثلته في الأفعال عند الرازي، قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَـةً وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَلا إِنَّ عَـاداً كَفَـرُواْ رَبَّهُـمْ أَلاَ بُعْـداً لِّعَـادٍ قَـوْمِ هُـودٍ ﴾ هـود:60.قـال فـي (ألا إنّ عـادا كفـروا ربهـم) قيـل: ...الكفـر هـو الجحـد، فالتقدير ألا إنّ عادا جحدوا ربهم، وعلى هذا القول فالفعل(كفروا) ضمن معنى الفعل (جحدوا).[22] وتعدّى بنفسه فنصب كلمة(ربّهم) على المفعولية.

ومنه قوله تعالى:﴿ وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ النساء:95.قال الرازي: انتصب قوله (أجرا) بقوله (وفضّل) لأنه في معنى قولهم:آجرهم أجرا... ومراد الرازي أن الفعل (فضّل) ضُمّن معنى الفعل(آجر وأعطى).

ومن شواهد تضمين الحروف معاني حروف أخرى عند الرازي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ النساء:2. وفيه وجهان :

الأول: معناه ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم في الإنفاق حتى تفرقوا بين أموالكم وأموالهم في حل الانتفاع بها.

والثاني: أن يكون (إلى) بمعنى (مع) قال تعالى :﴿ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللّه ﴾ آل عمران: 52، أي مع اللّه.[23]

وفي آية النساء، لمس الرازي التضمين في الفعل تارة وفي الحرف تارة. والتأويل في جميع ذلك متوافق مع سياق النهي عن مد أيديهم إلى أموال اليتامى حذرا من الوقوع في الحرام.

حمل اللفظ المؤنث على معنى المذكر، والعكس:

كثيرا ما يرد في الاستعمال الفصيح أن يقع الضمير العائد إلى اسم غيرَ مطابق له في الظاهر، ويعدّ ذلك الاستعمال من قبيل الخروج عن مقتضى الظاهر. ولأجل فكّ الغموض الذي ينتاب المعنى على هذه الجهة، يسعى المحلل اللغوي أو المفسر إلى حمل الاسم الذي يعود عليه الضمير على معنى تصح معه المطابقة بين الضمير وهذا الاسم.

ومن أمثلة الحمل على المعنى ما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ النساء :8. حيث أعاد الضمير في قوله:"منه"

المنارة للاستشارات
ww

مذكرا على "القسمة" وهي مؤنث، لأنه محمول على الإرث. ومن ذلك تذكير "السماء" في قوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ المزمل"18، فإنه محمول على "السقف".

وعاد الضمير مؤنثا إلى كلمة"سعير" في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ الفرقان: 11- 12. فقال "إذا رأتهم" بتأنيث الضمير حملا له على معنى "النار". ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ ق:11، ولم يقل: بلدة ميتة، بمطابقة الصفة للموصوف في التأنيث؛ لأنه حمله على "المكان."

ومن ذلك تعقيب الفراء على استعمال"بين" في قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ البقرة:136، فقال بأنه لا يجوز: لا نفرق بين رجل منهم؛ لأن "أحدا" لا يثنى ولا يجمع، فإن شئت جعلت "أحدا" في تأويل اثنين، وان شئت في تأويل أكثر.[24] وعند وقوف الفراء على قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ فاطر:28، قال بأنه تعالى لم يقل : ألوانهم، ولا ألوانها؛ وذلك لمكان "مِن"، وللعرب اكتفاء بـ"مِن" من "مَن" ، فيقولون: منا من يقول ذلك، ومنا من لا يقوله؛ ولو جمع على التأويل كان صوابا.[25]

وفي قول الله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ المزمل:18. قال الزمخشري: " والمعنى ذات انفطار، أو على تأويل السماء بالسقف، أو على تأويل : السماء شيء منفطر" الكشاف 4/ 642. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ الشورى:48 قال الفراء: وإنما ذكر قبلهم الإنسان مفردا، والإنسان يكون واحدا وفي معنى الجمع، فرد الهاء والميم على التأويل"[26]

حمل اللفظ المفرد على معنى الجمع، والعكس:

وكما يستعمل لنفس الظاهرة لفظ "التأويل"، يستعمل أيضا اللفظ المركب "مراعاة المعنى" استعمله محمد عبد الخالق عضيمة من النحويين المحدثين حيث قاله في دراسته للأدوات التي تحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى تارة أخرى. 27

ومن القدماء استعمله أبو حيان الأندلسي كثيرا ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ الحج:19، قال فيه: خصم مصدر وأريد به

المنارة للاستشارات
ww

هنا الفريق ؛ فلذلك جاء "اختصموا" مراعاة للمعنى؛ إذ تحت كل خصم أفراد.[28] وقال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ البقرة:116، "وكلّ" إذا حذف ما تضاف إليه، جاز فيها مراعاة المعنى فتجمع، ومراعاة اللفظ فتفرد"29 .

ومن حمل المفرد على معنى الجمع قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ قال الفخر الرازي: "طفلًا" في معنى أطفال. وَإِنَّمَا وَحَّدَ الطِّفْلَ لِأَنَّ الْغَرَضَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْجِنْسِ وَيُحْتَمَلُ "أَنْ يَخْرُجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ طِفْلًا" كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التَّحْرِيمِ: 4.30

إن حمل بعض المشكلات النحوية على المعنى، يساعد على استدعاء الصورة التركيبية الباطنة، ويكشف عن بعض المعاني التي لأجلها عدل التعبير عما يقتضيه الظاهر.

كما أنّ الحمل على المعنى سبيل إلى حل الالتباسات التركيبية في كلام العرب وفي القرآن الكريم؛ إذ هو منزل على أوضاع اللغة العربية، وجار على نظام هذه اللغة. وقد تعددت صور الحمل على المعنى التي أفضت إلى إماطة اللثام عن الغموض الذي طرأ على بعض الآيات. وعملية التبيان تستدعي علما ورسوخا في العربية وخبرة بسنن العرب في كلامهم في كافة ضروب مخاطباتهم.

الهوامش :

---

1 - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، ط3، 1984، 112/1.

2 - ابن منظور، لسان العرب،دار صادر، بيروت، دط، دت، 357/11 - 358.
والزبيدي، تاج العروس،المطبعة الخيرية ، مصر، دط،1306ه-،392/7-394.

3 - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات،دار الفكر، بيروت،ط1، 2005، ص:150.

4 - التعريفات، 145.

5 - التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون.كلكوتة، ط1، د.ت، 286/1.

6 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة التراث ، القاهرة، الطبعة 2، 1973، ص:102.

7 - الزركشي ، البرهان، 1/ ص: 12 ،115، 116.

8 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 102.

المنارة للاستشارات
ww

9 - أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت لبنان، ط2، 2/411.

10 - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1417 ه- - 1997م، 3/ 131.

11 - ينظر:جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق :أحمد شمس الدين،الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 2006 ، 2/196.

12 - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله دار الفكر ، بيروت الطبعة السادسة، 1985، ص:620.

13 - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، كتاب معاني القراءات، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص: 491.

14 - المصدر السابق، ص: 620.

15 - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998، 3/216.

16 - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: 623.

17 - المصدر السابق ، ص:623.

18 - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 4/111.

19 - عبد الفتاح أحمد الحموز، التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1218،1984.

20 - أبو البقاء الكفومي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ص:266.

21 - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص:687.

22 - أكرم نعيم عطوان الحميداوي، التأويل النحوي عند فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة،2008، 168.

23 - المرجع نفسه، ص: 168- 170.

24 - معاني القرآن، الفراء، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وغيره، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1، 1/45.

25 - نفس المصدر ، 1/ 284.

26 - نفس المصدر، 3/26.

27 - عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 2/ 89، 297، 311.

28 - البحر المحيط 6/ 360.

29 - نفس المصدر، 1/363.

30 - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420 هـ، 23/ 205.

المنارة للاستشارات
ww